البحث الحادى عشر

مقام العقل في فكر الدكتور/زكي نجيب محمود

إعداد

د/ اليماني عبد العزيز اليماني الفخراني

مدرس العقيدة والفلسفة كلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور/ زكي نجيب محمود ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ،هو مفكر وفيلسوف مصري،ولد في قرية ميت الخولي التابعة لمركز الزرقا بمحافظة دمياط المصرية بشمال الدلتا، في (٢٦ من ذي القعدة ١٣٢٢هـ الموافق. ١ من فبراير ١٩٠٥). – (١٢ ربيع الأول 1414 هـ 8/ سبتمبر 1993 م).

كان مثار جدل كبير بين الباحثين،لا لشيء سوى لأنه مستقل الفكر،حر التفكير،يتبنى ما يراه صالحاً لأمته،ويرفض ما يراه عاملاً لتأخرها ، اعتز بالعقل والعقلانية ، دعا المسلمين للتفكر في آيات الله المسطورة وآياته المنظورة ، حث المسلمين على التعقل والتفكر ، استخرج من القرآن الكريم ما يؤيد قضيته ، وحارب باسم الإسلام الخرافة والخزعبلات ، وبين أن الإسلام قد عد التفكير من الفرائض ، وإهمال العقول خيانة ، بل إنه عد العقل من معجزات الإسلام الخالدة ، فالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء لأنه أوكل فهم القرآن والسنة والاجتهاد فيهما للعقول المجتهدة، فأغنت عن الأنبياء ، وللأسف الشديد كان اجتهاد الرجل سببا في تكفيره ، أعاذنا الله تعالى من الجهل والجهلاء.

فموضوع هذا البحث هو مقام العقل في فكر الدكتور زكي نجيب محمود ، والعقل والعقلانية من المفاهيم التي تستخدم في مقابلة الاتجاه إلى تصديق الخرافات والخزعبلات والأوهام والشعوذة ، وهذا ما يرحب به كل مؤمن وكل

عاقل ، فالخزعبلات والأوهام والشعوذة كلها أمور مبنية على الهوى والظن والتقليد وتعطيل الحواس ، وكل هذه تودي بصاحبها إلى الردى ، فغياب العقل يودي بصاحبه إلى السعير ، ومن عطل عقله وقلبه وسمعه وبصره يعده القرآن من شر الدواب التي تسير على الأرض ، فمثله كمثل الأنعام ؛ بل هو أضل من الحيوانات.

لقد آمن الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود أن التفكير فريضة إسلامية،وأن الأمة التي تستخدم عقلها هي أمة متحضرة حية باقية ، والأمة التي تلغي عقلها لا تستحق الحياة ، فكان صاحب المنهج العلمي ، والمنطقي السليم ، في فهم العالم حولنا ، بظواهره الطبيعة والاقتصادية والاجتماعية .

لم ينطلق زكي نجيب محمود في هذا المنهج من منطلق الناقل البحت ، أو المفكر المنقطع ، أو المغلوب المولع بتقليد الغالب،وإنما جعل طريقه التفكير المستقل مع النقل الصحيح من مصادر ومخزون التراث ، وقد تجلى ذلك في إبداعاته كمجتمع جديد أو الكارثة ، وتجديد الفكر العربي ، وأيضاً المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، وقيم من التراث .. إلى آخر إبداعاته التي جمعت بين الأصالة والمعاصرة .

أعلت كتاباته ومصادره من قيمة العقل ، والتفكير العلمي ، وأهمية العلم في مواجهة الحياة ومشكلاتها ، وتطويع البيئة لمصلحة الإنسان .

لقد اعتمد في ما اعتمد عليه على عمق التفكير الذي وجده عند ابن حيان ، وابن الهيثم ، وابن سينا،والغزالي ، وابن رشد ، لا لشيء إلا ليؤكد من جديد ، في دعوته المتكررة للنهوض العلمي والثقافي والمادي ، أن لدينا ركائز يمكن الاعتماد عليها،والسير على منوالها،والبناء فوقها ، وليس في دعوته تلك ما يتعارض مع الإسلام ، بل العكس هو الصحيح ، فالتخلف الحضاري ، والتقهقر المادي ، والركون للدعة ، والاحتفاظ بذيل القافلة ،

والفقر للغرب في كل شيء هو الخيانة للدين ، والصدام مع تعاليم الإسلام ، والتعرض لعقاب الله ، والاحتقار من أقل الأمم تاريخا وثقافة .

وقد اشتمل هذا البحث على :

مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة فتشمل الحديث عن أهمية البحث وسبب اختياره.

أما المبحث الأول وهو بعنوان : العقلانية في فكر زكي نجيب محمود ، ويدور الحديث فيه عن أهمية العقل والفكر ، وماهية العقل ، ومكانة العقل في الإسلام.

أما المبحث الثاني ويدور الحديث فيه حول : الإسلام خاتمة الأديان لقيامه على العقل ، ويدور الحديث فيه حول صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وسعته ومرونته لاعتماده العقل في فهم النص.

أما المبحث الثالث : فيدور الحديث فيه حول التفكير والتكفير ، وكأنه يقول : إذا غاب العقل والفكر جاء التكفير . وأخيراً خاتمة ثم المراجع والفهارس .

المبحث الأول

العقلانية في فكر الدكتور زكي نجيب

من المفاهيم التي وقع لغط كثير فيها والتي يسعى المفكرون لإيجاد مفهوم صحيح لها مفهوم العقلانية ، لكن هذا المفهوم عند الغربيين ، يختلف كثيرًا أو قليلاً عما ندركه نحن الشرقيين منها ، فالعقلانية عند الغربيين اتجاه أو مذهب يعتمد على العقل وحده في فَهم الكون والإنسان والحياة،في مقابل الحسِّ أو التَّجرِبة وبهذا المعني فالناس في الغرب صنفان عقليون لهم وجهتهم وطريقهم ، وتجريبيون لهم وجهتهم وطريقهم والمادة موضع بحثهم ، والإسلام لا يعرف هذه القسمة.

وقد يكون هذا المفهوم للعقلانية في مقابلة الذين يعتمدون على مصادر أخرى وخاصة الغيبية منها مثل الوحي عند أصحاب الأديان السماوية ، ومثل الذين يعتمدون على الإلهام والذوق والكشف من الصوفية ، أو الاقتباس من الإمام المعصوم كما هو الحال عند الباطنية وغيرهم ، فالعقلانية هنا تعني المادية والحسية ، وهذه النصرة قاصرة أيضاً عن أصحابها ، فالتآخي بين العقل والنص في الإسلام لا نظير له في غيره ، فالقطيعة لا مكان لها ، وقد يغلب جانب على جانب.

وقد يستخدم مفهوم العقلانية أيضا في مقابلة الاتجاه إلى تصديق الخرافات والخزعبلات والأوهام والشعوذة ، ومفهوم العقل والعقلانية هو ما يرحب به كل مؤمن وكل عاقل ، فالخزعبلات والأوهام والشعوذة كلها أمور مبنية على الهوى والظن والتقليد وتعطيل الحواس تودي بصاحبها إلى الردى ، فغياب العقل يودي بصاحبه إلى السعير .

والذي يعنينا من هذا المفهوم هو علاقة الإسلام بالعقل ، وبيان المكانة المتميزة للعقل في الإسلام ، ففي الوقت الذي كانت الأمم قبل الإسلام تعتقد

أن الـدين والعقـل ضـدان لا يجتمعـان ، وخصـمان لا يتفقـان ، سـرت هـذه الوسـاوس مـن تلـك الأمـم لـبعض المسـلمين ، وصـارت تقـوى بيـنهم تلـك الوساوس كلما ضعف العلم والدين ، أو تمكنت الخرافات والبلادة على عقول أصحابها ، حتى وجد بين المسلمين من يسير في ركاب الغرب فيرى أن الدين خرافة معطل للعقل وبالتالي يجب رفض هذا الدين ، وهناك من يقر بالدين ولكن يحكم العقل في الدين فيجعل مرتبة الدين متأخرة عن مرتبة العقل فنراه يبقي ما يتفق مع العقل ويخضع ما لا يتفق من الدين مع العقل،ومنهم من يعتبر العقل عدوا لدودا بمقدار استخدامه يكون البعد من الدين،وتقاس درجة التقوي بمقدار البعد عنه ، وهذه الرؤية الجزئية قد جانبها الصواب بدرجات متفاوتة ، وهناك أيضاً من وضع يده على المكانة الفريدة للعقل في الإسلام ، ومن هؤلاء الأستاذ الدكتور/زكي نجيب محمود.

حد العقل

إن المتتبع لكتابات الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود يجد في هذه الكتابات فكرتين قد سيطرتا على كتاباته ، وهما فكرة : حرية الإنسان وعقلانية التفكير ، والعمل وفق العلم ، وقد اعتبر الفكرتين أساساً لا بد منهما في شخصية المصري الجديد المنشود القادر على مسايرة عصره ، فما المقصود بالعقل في فكره؟.

لم يتوجه أستاذ المنطق الوضعي وأستاذ الفلسفة الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود في تعريفه للعقل وجهة مادية ، كشأن الفلسفة الغربية ذات التوجه المادي ، إلا أنه نبه إلى التوجه الراهن للانصراف عن مادية العقل كما ساد في السابق ، وفي ذلك يقول : "فمما تجدر ملاحظته في هذا الموضع ،أنه مهما اختلفت تعريفات الناس للفظة "عقل" حين أرادوا استخدامها في شيء من الدقة ، فأظنهم جميعاً- في عصرنا الراهن على الأقل- متفقون على إبعاد معنى لا يجوز أبداً أن ينصرف إليه مفكر واحد،وهو المعنى الذي يتصور أن ثمة في عالم الكائنات كائناً ، مستقلاً بذاته،قائماً برأسه ، اسمه"عقل" . كما يشير اسم "هملايا"- مثلاً- إلى جبل معين معلوم ، فلتتعدد التعريفات كما يريد لها أصحابها ، على أن تلتقي كلها عند نقطة واحدة،هي أن "العقل" اسم يطلق على فعل من نمط ذي خصائص يمكن تحديدها وتمييزها"[1].

وهكذا لم يعترض أستاذنا الدكتور على تعدد تعريفات العقل مادامت تستبعد المعنى المادي للعقل ، وتلتقي كلها عند نقطة واحدة ، وهي أن "العقل" اسم يطلق على فعل من نمط ذي خصائص يمكن تحديدها

[1] - تجديد الفكر العربي ص ٣٠٩،وقد ألف د/زكي نجيب محمود كتاباً قيماً يحاكم فيه التراث بميزان العقل وسماه"المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري "فليراجع .

وتمييزها،وهذا الفعل الذي يعنيه هو الحركة التي يمكن الانتقال بها من الشاهد إلى المشهود عليه ، ومن دليل إلى مدلول عليه.

كما يشير إلى ذلك تعريفه للعقل بالرسم في قوله: "إن حد "العقل" هو أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول ، من شاهد إلى غائب،من ظاهر إلى خفي خبئ ، من حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر ، أو إلى ماض ذهب وانقضى ولم يعد مرئياً مشهوداً . ومن ثم كان العقل هو الذي يتعقب الحدث إلى أسبابه،أو إلى نتائجه ، في الحالة الأولى يكر راجعاً من الحدث إلى أسبابه ، أو إلى نتائجه،في الحالة الأولى يكر راجعاً من الحدث الظاهر إلى علة حدوثه وقد اختفت ، وفي الحالة الثانية يتشوف المستقبل قبل حدوثه ، مرتكزاً في ذلك على الحدث الماثل في لحظته الراهنة،وأما أن نرى الشيء وقد انكشف وتجلى ، فلا عقل في ذاك ، بل لا فرق فيه بين عاقل ومخبول"[2] . هكذا فالعقل عنده عبارة عن عملية التفكير نفسها ، فكأنه عرف العقل بوظيفته ونتائج تلك الوظيفة.

[2] ـ تجديد الفكر العربي ص ٣١١

معنى التفكير

فليست لفظة" التفكير" رمزا بغير معنى ، بل هو لفظ عربي له في اللغة معناه ، ثم حدد له المناطقة ذلك المعنى تحديدا لم يترك لنا خيارا في طريقة فهمه وحول ذلك المعنى يقول الدكتور زكي نجيب محمود : "فلكي "تفكر" لا بد لك– أولا– من مشكلة مطروحة عليك لتجد لها حلا"بالتفكير" في طريقة الخروج منها ، أو قل إنه لا بد لك من"سؤال"ملقى ينتظر الجواب ممن يستطيع أن يجيب ، فإذا ظننت مرة أنك"تفكر فعليك أن تقدم لمن يسألك أو أن تقدمه لنفسك"السؤال"الذي تسعى بتفكيرك ذاك إلى الإجابة عنه ، إذا فكر الطبيب في علة مريضه فهو بمثابة من يسأل نفسه ماذا عساه يزيل عنه المرض ، إذا فكر الجغرافي في علة الخماسين فهو بمثابة من يسأل ماذا كانت العوامل المناخية والطبيعية التي حركت الهواء وأثارت الغبار؟ وإذا فكر فقيه في حكم الشرع في الربح الذي تعطيه المصارف لأصحاب الأموال المودعة فيها ، كان بمثابة من يطالب نفسه بالبحث عن الأسانيد التي تثبت هذا وتنفي ذاك"[٣].

وباختصار شديد فالتفكير هو : "موقف فيه سؤال عن شيء ما ثم البحث له عن جواب وقد يكون السؤال نابعا من المفكر ذاته وكذلك قد يأتي السؤال من شخص غير الشخص الذي سيتلقاه ليبحث له عن جواب . التفكير في خلق السموات والأرض فريضة إسلامية لا تؤدي وأنت متربع على مقعدك شاخصا ببصرك إلى فراغ سارحا بخواطرك إلى غير هدف ؟كلا ولا هي فريضة تؤدى بتكرار الآيات الكريمة التي تحض المسلم على أدائها فما من مشكلة طرحها العلم ، أو سوف يطرحها إلى يوم الدين ، إلا وهي خاصة بجزء معين من خلق السموات والأرض ، ولقد اضطلع السلف بكثير من

[٣] ـ عن الحرية أتحدث ٨٧.

التفكير في الكون وكائناته وظواهره : فكان منهم علماء الفلك وعلماء الطب وعلماء الكمياء وعلماء الطبيعة في هذه الظاهرة أو تلك،كما كان منهم علماء الحيوان وعلماء النبات والرحالة الذين يجوبون اليابس والماء"[٤].

فالذي يقصده الدكتور زكي نجيب محمود من التفكير والفكر،ليس مجرد التصورات التي ترتسم في ذهن صاحبها عن الأشياء ، بل الذي يريده هو:"ربط تلك التصورات في أحكام عن تلك الأشياء ، فإذا ما نسجت تلك الأحكام المتفرقة بعضها مع بعض في منسوجة واحدة ، كان لصاحبها موقف معين من الكون ومن الحياة ومن الإنسان"[٥] .

فالتفكير عند د/زكي نجيب محمود هو سؤال ومحاولة الجواب عنه،أو هو قضية مطروحة تبحث عن فلسفتها،وهذا يتماشى مع فلسفته في الحياة التي تقوم على تحليل المركب إلى جزئياته ، والنظرة الشمولية للجزئيات لاستخراج صورتها الكلية ، أو هو الرباط الذي يربط الأحكام التي نصور بها الأشياء في نسيج واحد لنخرج به بموقف معين من الأشياء المتصورة.

---

[٤] ـ عن الحرية أتحدث ٨٨

[٥] ـ قصة عقل ١١.

التفكير فريضة إسلامية

إن كتاب المسلم هو القرآن الكريم الذي يحث المؤمن حثا لا ينقطع على التفكير في خلق السموات والأرض،وبهذا فقد : "أصبح التفكير فريضة إسلامية (وقد جعل العقاد هذه العبارة عنوانا لكتاب له) فماذا وكيف يكون التفكير في خلق السموات والأرض إلا أن يتقصي المسلم كل شيء يستطيع أن يتقصاه ليعرف سره وليستخرج قوانينه،وتلك هي العلوم وما تصنعه بمنهاجها ، ربما توهم من توهم أن المراد بالتفكير هو أن يجلس على كرسيه شاخصا ببصره إلى لا شيء سارحا بخواطره السائبة فيما ليس يدري هو نفسه على أي شيء تؤدى به تلك الخواطر .لا وألف مرة لا "[٦].

[٦] ـ عن الحرية أتحدث ٨٧

أهمية العقل في الإسلام

الدين والعقل في الإسلام توأمان ومن عظمة هذا الدين عدم وجود خطوط حمراء فيه أو نقاط ضعف نخشى من نقد العقل لها وإظهار عوراتها ، ولا غرو بعذ ذلك أن نرى مدى إشادة الدين بالعقل وحثه المسلمين على النظر والتدبر والاعتبار ، وعرض الأدلة وطلب النظر فيها ، ومطالبة الخصم بالدليل إن كان عنده برهان.وقد كان الدكتور زكي نجيب محمود على وعي تام بمكانة العقل في الإسلام .

وهذه الآيات القرآنية التي تنيط الدين بالعقل هي من الكثرة بمكان بحيث يضيق المكان عن ذكرها كلها،منها قوله تعالى : "{الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ*إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (يوسف : ١-٢)، وقوله تعالى : { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} (الأنفال:٢٢) وقال عز وجل : {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } (يس:٦٢) وقال عز من قائل : { وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ } (يس :٦٨) وقال تبارك وتعالى : { قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ } (يونس : ١٠١) وقال تبارك اسمه : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الرعد : ٤) وقال : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ } (آلعمران : ١٩٠) وقال : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى } (طه : ٥٤) ومثل هذه الآيات كثيرة جدًّا .

وهذه بعض الآيات التي لو ارتقى المسلمون للقرب منها لما صاروا في ذيل القافلة لذلك أجدني أتعجب مع السيد محمد رشيد رضا من ضعف أنظار المسلمين وقصر نظرهم واختلال فكرهم حتى صاروا ألعوبة يعبث بها العالم ويقودوهم حيث يريدون وذلك في قوله : "وإن أمة هذا كتابها وأصل

دينها،حقيقة بأن تكون أبعد الأمم عن الأوهام والخرافات ، وأشدها تمسكًا بالحقائق ، لا تأخذ إلا باليقين ، ولا تلتفت لما لا تقوم عليه البراهين ، ولكن لما فسد التعليم ، وغلبت الجهالة ، وصار القرآن يتلى للتغني لا يتدبره متدبر ، ولا يعتبر به متفكر – هجمت علينا زحوف الأوهام والخرافات من الأمم التي جاورناها ومازجناها ، ففتكت بنا كما فتكت بهم ، وهبطت بعقولنا ومداركنا كما فعلت بهم من قبل"[٧] .

[٧] ـ مجلة المنار ٢/ ٤٥٧.

امشوا في مناكبها

لقد ألقى الضوء الدكتور زكي نجيب محمود على الآيات التي تطالب المسلمين بالسير في الأرض والمشي في مناكبها ، واقتبس بعض آية ، جعلها عنواناً رئيساً،فقال : امشوا في مناكبها ، وهنا يسأل : "ولكن لماذا نفعل؟ أهو من أجل التنزه؟ من أجل"الفرجة" ؟ من أجل الاصطياف هنا والتشتية هناك؟ لا،بل هو قبل أن يكون شيئا من هذا كله يريدنا أن نجوب كل مجهول من يابس وماء ، مستطلعين كاشفين باحثين،نجوب الصحراء ، ونصعد الجبال ، ونشق البحر،ونطير في الهواء ، نخرج من جوف الأرض حديدها ونحاسها وبترولها وذهبها وما فيها من يورانيوم ومنجنيز وفحم وماء ، ونبحث في طبائع الأرض لنعلم كيف نخضب الجدب ، وكيف نزرع الهواء والماء ، وكيف نحيل أجاج البحار والمحيطات ماء عذبا فنروي ونرتوي ، ونغوص إلى قيعان تلك البحار والمحيطات نكشف عما أودعه الله فيها من الخيرات . أمرنا الله أن سيروا في فجاج الأرض ، بحرها ووهدها برها وبحرها ، لا لنقف عند ذلك في آياته الكريمة قارئين ، حافظين ، مرتلين ، متبركين ، وبعد ذلك لا جهاد ولا كفاح ولا علم ولا صناعة ولا عمارة ولا حضارة! ولو كنا في غنى عن هذه الثمرات كلها ، التي تخرج للإنسان من اليابس ومن الماء ومن الهواء ، لقلنا نعم ونعامى عين ، ولكننا نفتقر إليها ونستجديها ممن يحصلون عليها ، الذين يحققون ما أمر الله به المسلمين ، وهم من غير المسلمين"[٨].

---

[٨] ـ رؤية إسلامية ص ٥٧

مكانة الحرية والعقلانية في فكره

وإذا كانت حرية الإنسان ، وعقلانية التفكير والعمل بمقتضى ذلك،هما محور مشروع النهضة الذي تبناه الدكتور زكي نجيب محمود إلى وفاته – رحمه الله تعالى– فإن هاتين الفكرتين نادراً ما تجد مرحلة من مراحل حياته العقلية خالية منهما ، فهما عنده وسيلتان ، وهما عنده كذلك هدفان،فعنده في هاتين الفكرتين لا اختلاف بين الوسائل وأهدافها ، فوسيلته في الكتابة هي حرية التعبير وعقلانية الرؤية والنظر ، وهدفه مما كتبه هو أن يكون حراً وعاقلاً في نفسه ، وأن يجعل ما سواه معه حراً عاقلا ً.

فهو لم يكتف بالسعي للعيش في نعيم الحرية والعقلانية فحسب ؛ بل يسعى ليأخذ بيد غيره للعيش في نفس النعيم ، فهو يشبه الأنبياء في عدم اكتفائهم بصلاحهم بل في سعيهم لإصلاح أقوامهم.

ويؤكد الدكتور زكي نجيب محمود أن دعوته للحرية والعقلانية ليس ترفا فكرياً بل أصبح هذا المطلب مطلباً حيويا وضرورة حياتية في هذا العصر وفي ذلك يقول : "ولست أظن أن حرية الفرد وعقلانيته قد كانتا دائما صفتين للمصري في كل عصوره ، لا لأنه مقصور أو قاصر ، بل لأن العصور الماضية لم تكن تقتضيهما بنفس القوة التي تقتضيها هذا العصر،فحرية الأفراد مطلب حيوي في يومنا ما دام حكم الشعب قد أصبح في أيدي الشعب نفسه ، ولم يكن أمره كذلك دائماً وعقلانية النظر في يومنا منهج لا غناء عنه ما دام "العلم" قد أصبح أهم ركن من أركان الحضارة الراهنة ، وأيضا لم يكن أمره كذلك دائما.لكن إلحاحنا في السعي وراء هاتين الركيزتين في حياة الإنسان المعاصر ، لا ينبغي أن تحجب عنا حقيقة هامة . وهي أن المصري مصري قبل هذا العصر الراهن بعصور طوال،ومعنى ذلك أنه لا بد أن تكون

له صفات تدوم على مراحل التاريخ . ثم تضاف إليها صفات تلائم كل عصر مما لا ينفك التاريخ له طيا ونشرا"[٩].

ويبدو أني لا أستطيع أن أخالفه في ظنه بأن حرية الفرد وعقلانيته لم تكونا دائما صفتين للمصري في كل عصوره ، إذا لم يرد بذلك التعميم ، فالقلة الواعية من المصريين مازالت تناضل من أجل الحرية في هذا الزمن الذي تجلت فيه أهمية الحرية ، مع أن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، إلا أنه مازال هناك العبيد .

[٩] ـ رؤية إسلامية ص ٨٩

الخرافة ليست من الإسلام

الموقف الصحيح وما ينبغي أن يكون عليه المسلم ، وهو الموقف الذي طالما نادى به الدكتور زكي نجيب محمود أن يكون المسلم ذا عقلية علمية ترفض الخرافات والأباطيل ، وترفض ما لا برهان عليه .

وهنا يستشهد الدكتور زكي نجيب محمود بسنة الخلفاء الراشدين في محاربتهم الخرافة بسلطان العقل ، فينقل عن الإمام على إمام المتقين– كرم الله وجهه– ومن يطالع إسلاميات د/زكي نجيب محمود يجده متيما بالإمام علي كرم الله وجهه : "وقد هم بالخروج لمقاتلة الخوارج ، فجاء منجم يدعي القدرة على حساب الغيب ، ونصحه بألا يسير على القتال في تلك الساعة،وبأن يجعل سيره على ثلاث ساعات مضين من النهار قائلاً له : "إنك إن سرت في هذه الساعة ، أصابك وأصحابك أذى وضر شديد،وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ، ظفرت وظهرت ، وأصبت ما طلبت"،فما كان من الإمام علي– كرم الله وجهه– إلا أن أعرض عن المنجم بعد أن عنفه تعنيفاً شديدا ً، ومضى فيما كان ماضياً فيه،وانتصر،فقال لأصحابه ساعة النصر : لو سرنا في الساعة التي حددها لنا المنجم ، وانتصرنا ، لقال الناس إن النصر إنما تحقق بفضل ذلك المنجم ونبوءته ، "أما إنه ما كان لمحمد – صلى الله عليه وسلم – " منجم ، ولا لنا من بعده ، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر"[١٠].

والحمد لله ليس عندنا مشكلة بين الدين والعلم ، أو ما يسمى تعارض الدين والعلم ، أو تناقض العقل والدين ، وإنما المشكلة عندنا هي التناقض بين الدين والخرافة التي يستريح إليها الكثير باسم الدين ، كما أن هناك مشكلة أخرى بين التمييز بين ما يعز على العقل فهمه شيء وما يستحيل على العقل قبوله شيء آخر.

[١٠] - مجتمع جديد أو الكارثة ص ٧، ٨

المبحث الثاني

الإسلام خاتمة الأديان لقيامه على العقل

يرى الأستاذ الدكتور زكي نجيب أن شمولية وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، أو كونه خاتمة الأديان ، إنما يرجع إلى استناد الإسلام إلى العقل باعتباره أداة الإدراك،يستخرج الكنوز من القرآن الكريم التي تضيء الطريق للآخرة،وفي ذلك يقول : "إن عقيدة المسلم هي أن الإسلام دين لكل زمان ولكل مكان ، ومن الحكمة أن بين للناس ذلك الأساس الذي يؤيد صدق عقيدة المسلم في دينه . والأساس هو استناد الإسلام إلى "العقل" ليكون هو أداة الإدراك كلما أريد للفكرة المدركة أن يكون لها ثبوت وثبات. وليس الإسلام هو المسئول ، إذا نشأت جماعة من المسلمين على تربية تبيح لهم أن يبيعوا عقولهم من أجل خرافة ووهم . فالحقيقة العقلية وحدها هي التي تستطيع بحكم طبيعة تكوينها– أن يدوم لها صدقها مهما تغير بها المكان أو الزمان– وإذا قلنا الحقيقة العقلية فقد قلنا الحقيقة العلمية ، إذ لا فرق – في الأساس– بين العبارتين . وهل يتأثر الصدق في قولنا "إن الاثنين نصف الأربعة" مهما تغير المكان أو الزمان الذي تقال فيه؟"[١١].

ويمكن صياغة كلام أستاذنا الدكتور زكي نجيب محمود بالقول : إن فريضة الاجتهاد في الإسلام كانت من لوازم كون الإسلام آخر الرسالات السماوية ، لأن الإسلام قد أوكل المشكلات التي قد تنشأ في حياة الناس،مما لم يرد فيه نص قاطع،فكل مشكلة في حياتنا ، الإسلام قد : "أوكلها إلى "العقل"الإنساني ، أي أنه أوكلها إلى "العلم" . فكل مشكلة هامة تعترض حياتنا ، هي بمثابة موضع يختص به علم معين ، أو مجموعة علوم ، إذ قد تكون من اختصاص علماء الطب أو علماء الاقتصاد أو علماء النفس

[١١] - رؤية إسلامية ص ٣٣.

والاجتماع ، أو غير ذلك من سائر العلوم ، بحسب طبيعة المشكلة المطروحة . ومادام الأمر في تدبير الحياة إذا ما أشكلت على الناس،قد أحيل (في الإسلام) إلى عقل الإنسان وعلمه ، ففيم تكون الرسالات الدينية بعد ذلك؟ . إنها رؤية إسلامية ، تنظر إلى الإسلام من ناحية إقراره لعقل الإنسان وأحكام ذلك العقل في استدلالاته إذا ما التزم فيها منهج العلم"[١٢].

ويبدو أن أستاذنا الدكتور قد تأثر في هذه المسألة بكلام فيلسوف الإسلام محمد إقبال – رحمه الله تعالى – فعن الإجابة عن هذا السؤال ، لماذا كان الإسلام آخر الديانات ؟ يقول زكي نجيب محمود :"عن هذا السؤال يجيب محمد إقبال بقوله إن ذلك قد كان لأن الإسلام جعل التحكيم للعقل ، ولم يجعله لتقاليد الأسلاف ، إذ لو كانت التقاليد هي مدار الحكم فيما يجوز وما لا يجوز ، لكان الناس بحاجة إلى رسول جديد كلما اقتضت ظروف الحياة الجديدة معايير جديدة غير المعايير التي جسدها الأسلاف في تقاليدهم . أما وقد أصبح الحكم للعقل ، فالعقل وحده كفيل بأن يجد الحكم الصحيح لكل ظرف جديد ، على أن نصرة العقل لا تنفي أن يكون في رحاب الحياة الإنسانية جوانب أخرى متروكة للعواطف،فلا هي تعتدي على ميادين العقل ، ولا العقل بحاجة إلى الاعتداء عليها"[١٣].

ومن هنا يحق القول : إن مقام العقل في الإسلام هو مكان عال وفريد لا نظير له في دين من الأديان سواء أكانت سماوية الأصل أم وضعية ، والتي تشترك في معادة العقل وإقامة تناقض وتضاد بين الإيمان والعقل ، كما أن معجزة الإسلام معجزة عقلية لا تنتهي عجائبها إلى قيام الساعة وهي القرآن الكريم ، فلا عجب أن يأتي كل جيل باستخراج بعض وجوه إعجازه وذلك إلى قيام الساعة ، ليستقبل القرآن كل جيل بعطاء جديد ، وما البحوث

---

[١٢] - رؤية إسلامية ٣٤، ٣٥

[١٣] - مجتمع جديد أو الكارثة ص ٢٥ بتصرف يسير وانظر تجديد الفكر العربي ص ٣٠٩.

الجديدة في مجال الإعجاز العلمي للقرآن بخافية ، وكل هذا قد تنبه له أستاذنا الدكتور زكي نجيب محمود الخبير بالثقافة الغربية والتي مكنته من بيان كنوز الإسلام القائمة على العقل والوجدان .

والحمد لله فهذا التوافق بين العقل والنقل والثابت في القرآن والسنة قد تنبه إليه العلماء من قديم ، ومن بين علماء الإسلام الذين عبروا– بصدق وعبقرية – عن تكامل العقل والنقل – الحكمة والشريعة – حُجة الإسلام – أبو حامد الغزالى عندما قال : "إن أهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول ، وعرفوا أن من ظن وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ، ما أُتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر. وأن من تغلغل فى تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ، ما أُتوا به إلا من خبث الضمائر . فميل أولئك إلى التفريط ، وميل هؤلاء إلى الإفراط ، وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط .. فمثال العقل : البصر السليم عن الآفات والآذاء ، ومثال القرآن : الشمس المنتشرة الضياء ، فأَخْلِق أن يكون طالب الاهتداء المستغنى إذا استغنى بأحدهما عن الآخر فى غمار الأغبياء ، فلا فرق بينه وبين العميان . فالعقل مع الشرع نور على نور.."[١٤].

وعلى نفس المدرسة العقلية القديمة سار رائد المدرسة العقلية الحديثة الإمام محمد عبده وفي ذلك يقول" .. فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلى ، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحُجة ، وقاضاك إلى العقل ، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته ، بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة:إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق ، ثم لم يصل إليه

[١٤] - الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢، ٣. طبعة القاهرة. مكتبة صبيح بدون تاريخ.

ومات طالباً غير واقف عند الظن ، فهو ناج . فأي سعة لا ينظر إليها الحرج أكمل من هذه السعة ؟"[١٥].

وعلى نفس الخط الفكري يسير الدكتور حمدي زقزوق أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ، منبها لمجالات العقل في قوله : "فمساحة حرية الفكر والبحث العلمي في الإسلام مساحة واسعة ومكفولة للإنسان وكل ما في الأمر أنه لا يجوز لأحد أن يمس حرمة المقدسات الدينية "[١٦].

ولم يكن خافيا على الدكتور زكي نجيب محمود أن المطالبة بإعمال العقول قد تبناها سلفنا الصالح من قريب مثل فيلسوف الإسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغاني وتلميذه النجيب الأستاذ الإمام محمد عبده،وسلفنا الصالح من بعيد كالإمام الغزالي رضي الله عنه ومن سبقه،ولم يكن خافيا أيضا أن وجود صدام بين العقل والنقل ليس له وجود إلا في عقول المجانين الجامدين .

وعلى هذا النحو "العقلي" كان : " الأفغاني يعالج الأمور التي يراها مؤدية إلى تقوية الإيمان الديني والقومي عند المسلمين . وإلى درء الخطر كلما رأى خطراً يتهدد ذلك الإيمان،على أن الأفغاني كان أقوى تأثيراً بشخصيته ودروسه وأحاديثه منه بكتابته ، فكان في تاريخنا الفكري الحديث أشبه بسقراط في تاريخ الفكر الفلسفي عند اليونان"[١٧]

وعن الإمام محمد عبده الذي يعتبره الدكتور زكي نجيب محمود من أهم الأسباب التي ساهمت في نهضتنا الحديثة ، وذلك بدعوته إلى العناية بالعقل ، وربط النتائج بأسبابها الصحيحة يقول : "وكان أبرز هؤلاء الداعين إلى حكم العقل هو إمامنا الشيخ محمد عبده ، الذي إذا طرحت من حصيلته تلك

[١٥] - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٣ ص ٣٠١.
[١٦] - حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك د/ حمدي زقزوق ص ٤٥
[١٧] - من زاوية فلسفية د/زكي نجيب محمود ص ١٠

الدعوة إلى تحكيم العقل ، لم يبق منه إلا واحد كسائر الآحاد،فلقد أخذ- بكل جهده- يوضح العقائد الأساسية في الإسلام ، توضيحا يبين استنادها إلى منطق العقل ، فجعل الأصل الأول لهذا الدين هو "النظر العقلي"وعنده أن هذا النظر العقلي هو وحده وسيلة الإيمان الصحيح قائلا في ذلك أن الإسلام يقاضينا إلى العقل "ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته،فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه "ذلك هو الأصل الأول من أصول الإسلام ، وأما الأصل الثاني فهو "تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض " أي أنه – وهذه هي عبارته- "إذا تعارض العقل وظاهر الشرع ، أخذنا بما دل عليه العقل" ، محاولين بعد ذلك تأويل ذلك الظاهر تأويلاً يعطيه من المعنى ما يتفق مع أحكام العقل"[18].

وموقف عقلي كهذا الذي تبناه الأستاذ الإمام محمد عبده ، قد سبق إليه الإمام الغزالي ، حين قال إننا إذا وجدنا نصاً من نصوص الشرع ، لا يتفق معناه الظاهر مع حكم العقل أو بمعنى آخر مع عقيدة التنزيه التي هي لب الإسلام وجوهره ، علمنا أنه لا بد أن يكون لذلك النص معنى غير معناه الظاهر ، ووجب علينا أن نحاول تأويله تأويلاً يخرج منه المعنى المقبول عقلاً وفي ذلك ينقل الدكتور زكي نجيب محمود كلام حجة الإسلام فيقول : "وهاك قول الغزالي بنصه : "إن لنا معياراً في التأويل،وهو أن ما دل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره ، علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك "[19].

وعلى هذا النهج الذي سار عليه الغزالي ومحمد عبده وغيرهم سار زكي نجيب محمود ، فإذا انتهى النظر العقلي إلى معرفة تتعارض مع ما ورد في الشريعة عن موضوعها ، يقول د/زكي نجيب محمود : "فلا سبيل أمامنا إلا تأويل ظاهر النص تأويلاً ، معناه -كما يحدده ابن رشد- هو"إخراج دلالة

[18] - مجتمع جديد أو الكارثة ص ٩

[19] - مجتمع جديد أو الكارثة ص ١٠ وانظر رؤية إسلامية ص ٢٠٦.

اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب"[٢٠]

هذا هو تراثنا إذا أردتم من التراث هادياً ، إن هؤلاء الأئمة كالغزالي ومحمد عبده والدكتور زكي نجيب محمود وغيرهم لم يقولوا إلا ما تمليه البديهة الصافية ، وما يطالب به الإسلام ، وهذه إعادة لأقوالهم على أسماعنا ، لعلنا نزيل عن أنفسنا شيئاً مما أخذ يكتنفها من ريبة في عقل الإنسان .

ومن هنا يحق لي القول : إن الدكتور زكي نجيب محمود أحد أقطاب مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي في العصر الحديث ، تلك المدرسة التي أسسها الأفغاني مع ميول عقلية ثورية سياسية ، وتلميذه النجيب الإمام محمد عبده مع ميول تعليمية إصلاحية ، وتلميذه الأثري السيد محمد رشيد رضا مع ميول نحو تهذيب هذه المدرسة بالآثار النبوية ، ... وزكي نجيب محمود مع ميول فلسفية منطقية علمية ..

وإذا كان المجال فسيحا أمام العقل فيجب ألا يغيب عنه أنه مخلوق محدود مهما اتسع وتثقف وتعلم ، فمهما بلغ من العظمة والتألق فى الحكمة والإبداع ، هو قوة من قوى الإنسان ، تزيدها الخبرة والتجربة علما على علم ، وأنه مهما بلغت مكانة العقل فإن مجاله الفسيح هو عالم الشهادة وأن عالم الغيب فوق طاقته ، فإن عرف العقل مجاله ازداد نورا على نور بحقائق الكون ، وإيمانا على إيمان بعالم الغيب ، وإن أبى فالحيرة مصيره والشك مآله وسيكون هو الجاني على نفسه لا شيء آخر وما يجب هو إعمال المسلمين عقولهم في فهم الكتاب المسطور والكتاب المكنون .

[٢٠] - قيم من التراث ٢٨.

بين العلم والإيمان

يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن التوازن في الحياة يقوم على ساقين إحداهما ترتكز على العلم بمعناه الطبيعي ، والساق الثانية ترتكز على الإيمان بالله تعالى ودينه ، وهنا ينعم الإنسان بالعقل والعاطفة معا وفي ذلك يقول : "إننا إذ جعلنا شعارنا" العلم والإيمان" قد وقعنا على هذه التفرقة بين الجانبين وقوعاً صحيحاً ، فلو كان أحدهما كافياً لاكتفينا به دون الآخر ، ولو كان مترادفين بمعنى واحد لما فرقنا بين اللفظين ، لكنهما جانبان ضروريان معاً لكل إنسان يريد لنفسه حياة تحقق فطرته السليمة ، فالعلم عقل ، والإيمان عاطفة ، وبالعقل والعاطفة معاً يحيا الإنسان السوي السليم ، ولا حاجة بنا على هذه المحاولات التي لا تنقطع والتي يريد بها أصحابها أن يبينوا لنا بأن أحدهما هو الآخر ، ولو رأينا في هذه المحاولات كسباً لأي من الجانبين ، لعذرنا أصحابها ، لكن لا العلم يكسب شيئاً منها ولا الإيمان"[٢١] .

ولكن الإيمان ليس عاطفة فحسب ، فهو علم وعقل وعاطفة ، وما يطالب به د/زكي نجيب محمود هو الموازنة بين العقل والنقل ، بين العاطفة والنظرة العقلية ، أما أن نعطي الصدارة للعاطفة على حساب العقل فهذا ما يرفضه أشد الرفض : "إننا نعطي الصدارة لعواطفنا ، في أحكامنا وسلوكنا ، ونفاخر الناس بأننا كذلك ، وأن عواطفنا تلك لتخطئ ، وكم أضلتنا عن سواء السبيل ، فلو كنا نتعلم من أخطائنا كما تتعلم من أخطائها فئران التجارب العلمية ، لجاز أن يكون لنا اليوم موقف آخر ، لكننا نصر على الركون إلى العاطفة إصرار الفراشة على النار الحارقة ، ونترك عقولنا في أزمتها تنتظر لنا البعث الجديد"[٢٢].

[٢١] - مجتمع جديد أو الكارثة ص ٢٧.
[٢٢] - نافذة على فلسفة العصر د زكي نجيب محمود ١٥١.

وبعد هذا يمكن القول إن موقف الدكتور زكي نجيب محمود يتخلص في اهتمامه الشديد وحرصه البالغ على فريضة التفكير ، تلك الفريضة الغائبة عن كثير من حياة المسلمين في العصور المختلفة ، وما كان من الرجل إلا أن طالب المسلمين بالالتزام بتطبيق دينهم والاهتمام بأوامره وعلى رأس جملة الأوامر فريضة التفكير ووسيلتها العقل ، فهو أعظم نعم الله التي أنعم بها علينا ضمن نعمه التي لا تحصى ولا تعد ، وعلى من يقيم قطيعة أو تناقضاً بين الإسلام والعقل أن يعرض عقله على طبيب .

فهل يعد هذا موضعا للطعن في عقيدة هذا المفكر العظيم ؟ أو مجالا للنيل منه ؟ هذا هو مجال المبحث التالي بإذنه تعالى .

المبحث الثالث

بين التفكير والتكفير

لا يخفى على دارس أن أخطر أدوات التدمير لبنيان الاتحاد أو التقارب بين العاملين للإسلام خاصة ، وللمسلمين عامة بل هو أشد خطرا على الإطلاق : هو قضية التكفير ، رغم الروابط القوية بين الأمة ، فكانت الطامة الكبرى إخراج مسلم من الملة،ومن دائرة أهل القبلة ، والحكم عليه بالكفر والردة ، لا لشيء سوى لذنب اقترفه أو خطأ ارتكبه ، مع أنه لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه .

والتكفير بلا ريب يقطع ما بينك وبينه من حبال ، فلا لقاء بين مسلم ومرتد ، فهما خطان متوازيان لا يلتقيان .

وقد حذرت السنة النبوية أبلغ التحذير من اتهام المسلم بالكفر ، في أحاديث صحيحة مستفيضة ، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال : "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما "[٢٣].

[٢٣] ـ صحيح البخاري كتاب الأدب باب من كفر أخاه بغير تأويل ص 2264

مد الرجل قدمه في وجه التكفيريين

يبدأ فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة في عصرنا الحديث د/زكي نجيب محمود في التعبير عن ضيقه وتبرمه ومعاناته من النزعة التكفيرية بصياغة أدبية راقية تتعالى عن السباب والشتائم ، واكتفى بمد رجليه جوابا لمن يفتون بتكفيره ، وفي ذلك يستدعي واقعة تاريخية تبين أن عدم المبالاة بأصحاب النزعة التكفيرية هو الحل الأمثل لمواجهتهم وفي ذلك يقول : "هل كان هو الإمام أبا حنيفة النعمان .. لست أذكر على وجه اليقين ، لكن من أعنيه هنا ، قد كان إماماً عظيم الشأن في فقه المسلمين ، وكان يلقي درسه ذات يوم ، واستأذن في أن يبسط إحدى ساقيه لعلة فيها ، وإذا برجل على وجهه هيبة السنين ، وقد التحى بلحية بيضاء توحي بالوقار الرزين، يدخل ويجلس في حلقة الدارسين،فما أن رآه الإمام حتى أسرع فطوى ساقه الممدودة،ولبث طاوياً لها على ألم ، إلى أن شاء له الله أن يتجه إليه ذلك الزائر المهيب الطلعة بسؤال ، فكشف السؤال عن جهل فاضح ، وهنا صمت الإمام قليلاً بغير جواب ، ثم بسط ساقه العليلة ليخفف عنها الألم ، قائلاً : إذاً نمدد رجلنا"[٢٤] ..

فلقد جاءه أحد تلاميذه بمجلة مصرية قد زخرفت صفحات المقال بالألوان ، ونثرت على جنباتها فقرات تحيطها بالأطر، حتى لا يخطئها بصر وقد أفردت هذه الصفحات للنيل من الرجل ، والطعن في عقيدته ، وأترك لأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود ليعبر عن حملة هذه الصحيفة المصرية على شخصه التي قد خصصت لشخصه أربع صفحات كاملات ملئت سطورها بسهام مسمومة : "لم أكد ألقي البصر على المادة المكتوبة حتى علمت أن كاتب المقال رجل من هؤلاء الذين يحبذون قذف الناس بحجارة الكفر والإلحاد

[٢٤] ـ مجتمع جديد أو الكارثة ص ٢٥٨

فوردت إلى ذهني عبارة الإمام الفقيه ، إذ قلت لنفسي : إذن نمدد رجلنا . فلو وجدت الكاتب على ذرة من نضج التفكير ، لأخذت أهبتي لمبادلته الرأي ، لأن أمتنا العربية في حاجة إلى كل ذرة من تفكير أبنائها ، لكن ما حيلتي وقد وجدت الرجل قد أظهر منذ السطر الأول وهما في رأسه بأنه صاحب حق في الحكم على ضمائر العباد وقلوبهم! .. إنه ينثر أحكامه بالتكفير وبالإلحاد نثراً بغير حساب ، مما دل على ضعف ثقته بإيمانه"[٢٥] .

لقد شرع الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود في تحليل نفسي لشخصية الشخص ذي النزعة التكفيرية ، فوجده ضحل الثقافة ،عديم التفكر، يستمرئ التكفير،وهذا الربط بين التكفير وعدم التفكير هو رباط لازم ،فلا تجد مفكرا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة يستهويه التكفير ويولع به ، والعكس صحيح ، فعديم الفكر دائما يدعي أنه المفكر الأوحد صاحب الحق في الحكم على ضمائر العباد وقلوبهم ، وهذا يكفي للدلالة على ضعف ثقته بإيمانه ، وكما قال الغزالي من قبل : لا يسارع إلى التكفير إلا الجهلة.

وفي رأي الدكتور زكي نجيب محمود أن الشخص صاحب النزعة التكفيرية ضعيف الثقة بنفسه وإيمانه ؛ لأنه لو اشتدت عنده الثقة بنفسه : "لما أخذته الغيرة من إيمان الآخرين ، وهو يعلم أن كلاً من هؤلاء الآخرين مسئول أمام ربه بمثل ما هو مسئول ، ولأمر ما في فلسفة اللغة العربية ، جاءت كلمة "التكفير" قريبة الشبه من كلمة "التفكير" ، كأنما أرادت قوة البيان في اللغة العربية أن تقول للناس ، إن تحريف الأوضاع لحرفي الكاف والفاء ، مبعثه أن حركة العقل عند تكفيره للآخرين ، إنما هي حركة أصابتها لعثمة فتعثرت الحروف عن مسارها المستقيم ، فقد أراد أصحابها ضرباً من التفكير

[٢٥] ـ مجتمع جديد أو الكارثة ٢٥٩

المنـتج ، لكـن مرضـاً فـي عقـولهم أنـزل الكسـاح بـذلك التفكيـر المطلـوب ، فتعثرت خطاه ، فانقلب تكفيراً يؤذي الناطق به قبل أن يؤذي أحداً سواه"[٢٦].

أي أن التفكير المقلوب يساوي التكفير ، وما التكفير لمن لا يستحق التكفير إلا تفكير مقلوب .

وهكذا يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن النـزعة التكفيرية هي عبارة عن كساح فكري يودي بصاحبه قبل غيره ، وينم عن جهل مركب بصاحبه يفقده القدرة على التمييز بين الغث والثمين ، ومثل هذا الكساح الفكري يشيع للأسـف الشـديد : "إذا مـا أصـيب القـوم بفقـر فـي قـدراتهم العاقلـة وهـزال فـي حياتهم الثقافية بوجه عام ، ولقد تكرر حدوثه في تاريخ الأمة العربيـة نفسـها ، فكلما وهنـت القوى وفترت العزائم ، نشطت حركة التكفير لتفتك بـأي رجل هداه الله إلـى مـا يرفـع بـه رأسـه عن الغث والـهزيل ، ألست تـرى إلـى النـهر القوي فـي تـدفق مائـه،يمضـي فـي طريقـه يشـق بـه الصـخر لا يبـالي الأعـلاق والشوائب ، حتـى إذا مـا ركـد المـاء فـي مسـتنقع هنـا أو هنـاك ، وجـدت تلـك الشوائب والأعلاق مرعاها الخصيب"[٢٧].

وحتى لا يكون كلامه كالـهباء في الـهواء إن فتشته لم تجد فيـه شيئاً ، فقد ضرب مثالاً يتكرر دائما في التاريخ ، وهو ارتباط شيوع النـزعة التكفيريـة في التاريخ الإسلامي بعصور الانحطاط والتخلف والجمود والركود ، وفـي ذلـك يقول : "ونسوق في تاريخ الأمـة العربيـة فـي حـالات ضـعفها ، مثلاً واحداً ، هـو حالـة الأنـدلس،في القـرن الثـاني عشـر المـيلادي .. حـين أخـذت سـطوة المسلمين تنحسـر أمـام الغـزاة ، فكيـف كانـت صـورة الفكـر يومئـذ؟ .. تكـاثر" العلماء"الذين زودوا أنفسهم بأسلحة التكفير ، يوجهونها إلى من يخشون فيـه القـدرة والبـأس ، حتـى لقـد وقعـت عامـة النـاس فـي حيـرة مـن الأمـر،فأمـامهم

[٢٦] ـ مجتمع جديد أو الكارثة ٢٥٩، ٢٦٠
[٢٧] ـ مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦٠

"علماء" بحكم المناصب ، يقذفون التهم قذفاً ليصيبوا بها فيلسوفاً نادر الطراز في تاريخ الفكر الإنساني كله ، فإذا بلغت هوة الخلاف هذا المدى ، فما الذي يهدي عامة الناس إلى صواب؟ "[٢٨].

ولم يغب عن ذهن مفكرنا الكبير ، أن الأيام دول ، والتاريخ ذو عبر ، وأن الزبد يذهب جفاء ، وأن التاريخ كثيراً ما ينتقم للحق على الباطل ، فتمضي سنوه : "وإذا بأولئك العلماء قد محيت أسماؤهم من سجله محواً ليفسح المكان في صفحاته للقادرين ، وإذا كنت ممن يلمون بشيء من تاريخ الفكر الإسلامي ، فاسأل نفسك : من ذا بقي اسمه مذكوراً مشهوراً من علماء الأندلس في تلك الفترة التي أحدثك عنها ؟.. هل تذكر منها أحداً غير ابن رشد؟ .. فأين إذاً ذهب الذين صوبوا إلى صدره السهام ، وأحرقوا كتبه أمام عامة الناس ؟"[٢٩].

وفي المقابل فإن النظر في التاريخ أيضا يدل على أن البناة وأصحاب النهضات هم من أبعد الناس عن التكفير وفي ذلك يقول : "أي صنف من الرجال يا ترى هو الذي مهد لنا طريق النهوض ، بعد رقدة عميقة السبات ، امتدت بنا ثلاثة قرون على أقل تقدير ؟ .. أي صنف من الرجال يا ترى جعل لنا مدارس ومعاهد وجامعات ، وأقام لنا المنشآت الهندسية الكبرى ، وقاوم المرض وأزال بعض الظلام؟ .. أي صنف من الرجال يا ترى هو الذي أجرى على ألسنتنا كلمات الحرية والعدالة والمساواة ، بعد أن لحق بها الدثور؟ .. ضع أمامك قائمة بأعلام نهضتنا الحديثة ، وسل نفسك من مِن هؤلاء الأعلام بنى مجده ومجدنا على تكفير الناس ؟ .."[٣٠] .

---

[٢٨] - مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦٠
[٢٩] - مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦٠
[٣٠] - مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦١

ويؤكد على موقفه السابق أن الأمم يبنيها جهود إيجابية تضيف علماً إلى علم ، وفناً إلى فن،وثراء إلى ثراء،ونوراً إلى نور ، ونهضة إلى نهضة : "ولا يبنيها أبداً هجمات سلبية تنال من حياة الناس بدل أن تزيدهم حياة على حياة؟ .. لقد ابتسمت عندما قرأت لذلك الكاتب في مقالته تلك ، عبارة يتهددني بها أن يقطع لساني بشاطور! يا سبحان الله !... وماذا يضيف إلى أمته بأن يعمل شواطيره في حلوق خلق الله ؟ .. وكم لساناً أطاحت بها الشواطير في عهد نبي الإسلام وعهود خلفائه ؟ "[٣١].

إن التكفير بغير حق من أهم عوامل الهدم لا البناء ، والتدمير لا التعمير ، وعلى البناة ألا ينشغلوا بالرد على الهادمين ، لأن الزبد سيذهب لا محالة للفناء ، وسيسقط التيار المتشدد من تلقاء نفسه فهو لا يحمل عوامل الدوام ، بل يحمل عوامل هدمه في ذاته ، وبالتالي فلا حوار مع الصغار ، وفي ذلك يقول الدكتور زكي نجيب محمود : "وإذا انتقلت بحديثي إلى من أراد أن يقطع لساني بشاطور، لأسأله : ترى هل ينفع ذلك في تطهير بيت المقدس؟ .. هل ينفع ذلك في الحد من الأمية الفاشية في مصر ؟.. هل ينفع ذلك في إيجاد العمل النافع لألوف الأيدي التي تريد أن تعمل لتعيش فلا تجد ما تعمله ؟.. ويح نفسي ، ماذا أقول؟.. ومتى عرفت أن الحوار ينفع مع الصغار..؟ "[٣٢]

وللأسف الشديد فإن الصغار الذين استنكف الدكتور زكي نجيب محمود عن محاورتهم ، قد أنجبوا صغارا جدد ، يقلدون ولا يفكرون ، يفتحون عيونهم ولا يبصرون ، ويفتحون أذنهم ولا يسمعون بها ، فلهم أعين لا يستفيدون بها ، ولهم آذان لا ينتفعون بسماعها ، هؤلاء الصغار قد انطلقوا من إيمان الدكتور زكي نجيب محمود بالعقل والتفكير به باعتباره فريضة

[٣١] - مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦١
[٣٢] - مجتمع جديد أو الكارثة ٢٦٣.

إسلامية ، وألصقوا بـه تهمـة الكفر ، أي أنهم اتخذوا من موطن قوة الرجل موضعا للطعن في عقيدته.

فقد كتب الأستاذ أنور الجندي بضع صفحات بلا تدقيق أو تحقيق حول الدكتور زكي نجيب محمود ، اتهمه فيها بتهم ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا حجة عليها أو برهان ، فقد اتهم الرجل بقيادة كتائب التغريب،وأنه أعاد النظر في التراث الإسلامي "وأسماه العربي" في محاولة لخداع البسطاء ولتغطية ماضي طويل في الفكر المادي كانت قمته كتاب المعروف "خرافة الميتافيزيقا" أي بمعنى صريح اتهام مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام بأنه خرافة .

كما اتهم الأستاذ أنور الجندي الدكتور زكي نجيب محمود بإنكار كل ما سوى المحسوس والمعقول متابعة في ذلك للمذهب الفلسفي الذى اعتنقه طوال حياته مقلداً في ذلك فيلسوفاً أوربياً مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته "أوجست كونت".

وبعد كل هذه الاتهامات الباطلة الزائفة الذي تكفل الفصل الخاص ببيان موقف الدكتور من العقل ومن الميتافيزيقا ببطلانه ، يحاول الأستاذ أنور الجندي من باب الإنصاف أن يقول : "ونحن لا نتهم أحداً في عقيدته ولا تتعقب العورات ولا نلتقط ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعي ولكننا نقرر بدأءة بأن المنهج الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة،وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التي يثيرها في كل كتاباته وهي مسألة العقل والعقلانية فالإسلام لا يعطى العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما يرسم للعقل طريقا كريماً في ضوء الوحى . والعقل في الإسلام مناط التكليف ولكنه ليس حكماً على كل شئ ذلك لأن العقل أداة تصلح إذا صلح تكوينها وتفسد إذا فسد

تكوينها . وهي إن اهتدت بالوحى أضاءت وأشرقت عليها أنوار الفهم . أما إذا اهتدت بالفكر البشري فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل شر ولكن أهواء النفس ...

وإني لأسأل الدكتور زكي نجيب محمود : هل يؤمن بالوحي؟ هذا هو مقطع المفصل بيننا وبينه . وإذا كان يؤمن به فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه "خرافة الميتافيزيقا" ولماذا لا يؤمن بهذا الوحي الذي جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة؟. وإذا كان الدكتور زكي نجيب محمود قد تراجع عن، خرافة الميتافيزيقا" وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس."[٣٣] .

ولا أدري ما ذنب الدكتور زكي نجيب محمود في أن الأستاذ أنور الجندي لم يقرأ ما كتبه في قوله إن : "من آمن بوحي إلهي ، فهو بحكم ذلك الإيمان نفسه لا يخطر له أن "يعارض "أو أن "يناقش" لكن إيمانه يوجب عليه أن يفهم مضمون الوحي الذي آمن به ، ليهتدي بهديه وهو على وعي وبصيرة ، وبالله التوفيق "[٣٤] ..

وأقل ما يمكن إن يقال لأنور الجندي ومن تبعه : أين أنكر الدكتور زكي نجيب محمود الوحي حتى تشكك في إيمانه به؟ وأين فساد المنهج في كتابه "خرافة الميتافيزيقا" حتى تطالبه بإعلان هذا الفساد؟ وما هو الذي تطالبه بالرجوع عنه -بالتحديد- في صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس ؟. إن هذا الكلام يدل بما لا يدع مجالا للشك أن الأستاذ أنور الجندي لا صلة له بالدكتور زكي نجيب محمود لا من قريب ولا من بعيد، وفي بيان موقفه من الميتافيزيقا وموقفه من العقل أكبر دليل على ذلك ، فقد أفردت موقفه من الغيبيات ببحث،نقضت فيه تلك الشبهات .

[٣٣] ـ رجال اختلف فيهم الرأي أنور الجندي ٢١٥ـ ٢٢٤
[٣٤] ـ عن الحرية أتحدث ص ٢٣٦

ولأسف الشديد فقد تابع أنور الجندي – سامحه الله – كثير من المقلدين ، ممن اعتبروا جريمة الرجل هو إعمال عقله في النهوض بأمته ،وفي ذلك يقول أحد المقلدين : "ولقد كان هوى زكي نجيب محمود في دراساته في التراث مع ذلك المفهوم العقلاني الذي انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذي استمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، والإلحادية الإباحية التي غامت سحابتها على الفكر الإسلامي ثم انقشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآني الأصيل "[٣٥].

لا أدري والله عمن يتكلم صاحب هذا الكلام ؟ وحسبي الله ونعم الوكيل ، ومن هؤلاء المقلدين بلا علم ،والسائرين بغير هدى ، والمتبعين بلا عينين ، المدعين –زوراً الانتساب للسلف والسلف منهم براء ،" إسماعيل المقدم "تأمل ما يقوله عن الدكتور زكي نجيب محمود الذي يتهمه بالنفاق والمتمسلم ، والكاره لما أنزل الله،والصاد عن سبيل الله ، والساعي لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وذلك في قوله : "زكي نجيب محمود ....أعداء الإسلام من المنافقين المتمسلمين الكارهين لما أنزل الله الصادين عن سبيل الله الآمرين بالمنكر والناهين عن المعروف لا يملون ولا يكلون من ممارسة هوايتهم الرخيصة في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا والترويج للذرائع المفضية إلى مزيد من الفساد والإفساد لهذه الأمة الغافلة عما يراد بها ، إنهم لا يألون جهداً في قطع صلتنا بأسلافنا ووصل الحبال مع أعداء ديننا الكارهين – أيضاً – لما أنزل الله .الفيلسوف الهرم (الذي أفنى عمره داعية لثقافة الغرب وكارهاً للحياة في ظلال الإسلام إنه الرجل الذي رشح لاقتعاد محل الصنم الضال " طه حسين " بعد هلاكه الذي أنفق ردحاً من عمره في دراسة الفكر المادي الذي كانت قمته كتابه المعروف بـ (خرافة الميتافيزيقا) أي بمعنى

[٣٥] ـ أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ٢١٦/١.

آخر : اتهام مفهوم (الغيب) بأنه (خرافة) وإنكار كل ما سوى المحسوس تبعاً لمدرسة الفيلسوف الملحد " أوجست كنت " تلك المدرسة التي يفاخر فيلسوفنا الهرم بأنه يمثلها)"[٣٦].

ولم يكتف بهذا "إسماعيل المقدم" بل صرح بأن جريمة الدكتور الذكي النجيب المحمود التي استحق بها كل هذه الطعون هو امتثاله لأوامر القرآن وأوامر السنة النبوية التي اعتبرت العقل مناط التكليف واستخدام هذا العقل في التفكير من أهم فرائض الإسلام ، ويعبر عن هذه الميزة العظيمة للرجل بهذا التشويه المتعمد في قوله: "إنه الكاتب الذي (باع عقله للهوى وانضوى تحت لواء الأعداء فهو جندي من جنود الاستعمار الفكري والانحراف الخلقي) "[٣٧].

ولا أدري والله هل توجد أمه على وجه الأرض تفعل بعظمائها مثل هذا الذي يفعله أنصار هذا التيار بعظماء أمتنا الإسلامية ؟. ولحساب من ينالون من رموز مصر المحروسة ؟. وهل يمكن بحال من الأحوال اعتبار الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود جنديا من جنود الاستعمار الفكري والانحراف الخلقي ؟. إن هؤلاء القوم لا يدرون عن أي شيء يتحدثون،ولا عن أي مفكر يكتبون ، ولا عن أي عظيم ينهالون ، ولا عن أي قمة يقذفون ، هل هذا من الإسلام ؟.

إن إسماعيل المقدم لم يكلف نفسه قراءة مؤلفات الدكتور زكي نجيب محمود ، ولو قرأ من إشعاعات التوحيد في كتابه "عربي بين ثقافتين" لتعلم ،ولو قرأ مقالة " فلسفة الشهادة"في كتابه "أفكار ومواقف" لما سطر ما كتب ؛ ولكنه لا يريد أن يتعلم .

[٣٦] ـ عودة الحجاب إسماعيل المقدم ٢٣٦/١.
[٣٧] ـ عودة الحجاب إسماعيل المقدم ٢٣٦/١.

إن المشروع الفكري النهضوي للأستاذ الدكتور/زكي نجيب محمود يصعب على إسماعيل المقدم ومن على شاكلته أن يستوعبوه ، ولكن يسهل فقط أن يسعوا في هدمه ، إن مشروع الدكتور زكي نجيب محمود يمكن تلخيصه في الاحتفاظ بديننا وقيمنا وتراثنا ونقل التقدم المادي عن الغرب ،وذلك في قوله:"إذا كان الغرب قد قصروا في المحافظة على "نفوس" الأفراد و"قلوبهم"فذرنا نحن– ارتكازاً على ترثنا وعقائدنا– أن نعلمهم كيف يمكن المشاركة في مقومات العصر كلها ، مع الحفاظ على إنسانية الإنسان"[٣٨].

ويؤكد أيضاً الدكتور زكي نجيب محمود هذا التوازن الذي ينشده الإنسان بين العقل والوجدان : "فإن الجانب الوجداني في حياتنا قد أغناه الدين بما يكفيه ليكون قوة دافعة ، وأما ركيزة "العقل" التي تتجلى أساساً في "العلم"وفي"الفكر"فهو الذي نفتقر إليه افتقاراً وصل بنا إلى حد الخطورة ، ولا نقول شيئاً هنا عن "العلم" في حياتنا الحاضرة ، لأن ما بين أيدينا منه بضاعة مستعارة ممن أبدعوها في الغرب"[٣٩].

[٣٨] - في مفترق الطرق د زكي نجيب محمود ص ١٨٧.
[٣٩] - عربي بين ثقافتين ٢٨٩

خاتمة

في نهاية هذا البحث الوجيز يمكن الخروج بالنتائج التالية:

لم يعترض الأستاذ الدكتور/ زكي نجيب محمود على تعدد تعريفات العقل مادامت تستبعد المعنى المادي للعقل ، وتلتقي كلها عند نقطة واحدة،وهي أن "العقل" اسم يطلق على فعل من نمط ذي خصائص يمكن تحديدها وتمييزها ، وهذا الفعل الذي يعنيه هو الحركة التي يمكن الانتقال بها من الشاهد إلى المشهود عليه ، ومن دليل إلى مدلول عليه.

كما أن التفكير عند د/زكي نجيب محمود هو سؤال ومحاولة الجواب عنه،أو هو قضية مطروحة تبحث عن فلسفتها ، وهذا يتماشى مع فلسفته في الحياة التي تقوم على تحليل المركب إلى جزئياته ، والنظرة الشمولية للجزئيات لاستخراج صورتها الكلية ، أو هو الرباط الذي يربط الأحكام التي نصور بها الأشياء في نسيج واحد لنخرج به بموقف معين من الأشياء المتصورة .

كما يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن حرية الفرد وعقلانيته مطلب حيوي في يومنا هذا ما دام حكم الشعب قد أصبح في أيدي الشعب نفسه.

كما يرى الأستاذ الدكتور زكي نجيب أن شمولية وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، أو كونه خاتمة الأديان ، إنما يرجع إلى استناد الإسلام إلى العقل باعتباره أداة الإدراك،يستخرج الكنوز من القرآن الكريم التي تضيء الطريق للآخرة .

إن الدكتور زكي نجيب محمود أحد أقطاب مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي في العصر الحديث،تلك المدرسة التي أسسها الأفغاني مع ميول عقلية ثورية سياسية ، وتلميذه النجيب الإمام محمد عبده مع ميول تعليمية إصلاحية ، وتلميذه الأثري السيد محمد رشيد رضا مع ميول نحو تهذيب هذه

المدرسة بالآثار النبوية ، ... وزكي نجيب محمود مع ميول فلسفية منطقية علمية ..

يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن النزعة التكفيرية هي عبارة عن كساح فكري يودي بصاحبه قبل غيره ، وينم عن جهل مركب بصاحبه يفقده القدرة على التمييز بين الغث والثمين ، ومثل هذا الكساح الفكري يشيع للأسف الشديد ، إذا ما أصيب القوم بفقر في قدراتهم العاقلة وهزال في حياتهم الثقافية بوجه عام ، ولقد تكرر حدوثه في تاريخ الأمة العربية نفسها ، فكلما وهنت القوى وفترت العزائم ،نشطت حركة التكفير لتفتك بأي رجل هداه الله إلى ما يرفع به رأسه عن الغث والهزيل.

إن النظر في التاريخ أيضا يدل على أن البناة وأصحاب النهضات هم من أبعد الناس عن التكفير ، فأي صنف من الرجال يا ترى هو الذي أجرى على ألسنتنا كلمات الحرية والعدالة والمساواة ، بعد أن لحق بها الدثور؟.. ضع أمامك قائمة بأعلام نهضتنا الحديثة ، وسل نفسك من مِن هؤلاء الأعلام بنى مجده ومجدنا على تكفير الناس ؟..

إن كثيرا ممن يكفرون الدكتور زكي نجيب محمود من أمثال : د/سيد العفاني ، ود/إسماعيل المقدم وغيرهم لم يكلفوا أنفسهم قراءة مؤلفات الدكتور زكي نجيب محمود ، ولو طالعوا من إشعاعات التوحيد في كتابه "عربي بين ثقافتين" لتعلموا ، ولو تصفحوا مقالة "فلسفة الشهادة" في كتابه "أفكار ومواقف" لما سطروا ما كتبوا ؛ ولكنهم لا يريدون أن يتعلموا ، واكتفوا بالتقليد لمن سبقهم في الطعن في عقيدة الرجل .

أهم المراجع

١- القرآن الكريم
٢- السنة النبوية الشريفة الإمام الغزالي
٣- الاقتصاد في الاعتقاد ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م إسماعيل المقدم
٤- عودة الحجاب دار طيبة للنشر ٢٠٠٦م أنور الجندي
٥- رجال اختلف فيهم الرأي بدون بيانات د/حمدي زقزوق
٦- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ط مجمع البحوث الإسلامية د/ سيد العفاني
٧- أعلام وأقزام الناشر دار العفاني محمد رشيد رضا
٨- مجلة المنار ط المنار محمد عبده
٩- الأعمال الكاملة تحقيق د/محمد عمارة ط١ دار الشروق ١٩٩٣م
زكي نجيب محمود
١٠- أفكار ومواقف ط٢ دار الشروق ١٩٨٦م
١١- المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري ط دار الشروق
١٢- تجديد الفكر العربي ط دار الشروق
١٣- رؤية إسلامية ط٣دار الشروق ١٩٩٣م
١٤-عربي بين ثقافتين ط٢ دار الشروق ١٩٩٣م
١٥-عن الحرية أتحدث ط٣ دار الشروق ١٩٨٩م
١٦- مجتمع جديد أو الكارثة ط دار الشروق
١٧- في مفترق طرق ط ٢ دار الشروق ١٩٩٣م.
١٨- قيم من التراث ط دار الشروق ٢٠٠٠م
١٩- قصة عقل ط٢ در الشروق ١٩٨٨م

٢٠- قصة نفس ط٤ دار الشروق ١٩٩٣م
٢١- من زاوية فلسفية ط٤ دار الشروق ١٩٩٣م
٢٢- نافذة على فلسفة العصر ط دار الشروق

الفهرس